صدع في البناء

عبد الله بن سليم القرشي

صدع في البناء

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد النبي الأمين وبعد :

إن الأصل في الأمة الإسلامية أنها أمة مترابطة متماسكة فهي كالكتلة الواحدة في عقيدتها الراسخة الواضحة وفي حكمها بشريعة الله سبحانه وتعالى وفي علاقاتها مع الكفار وفي أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر وفي اقتصادها وفي أخلاقها وسلوكها وفي علاقاتها الأسرية وفي جهادها لأعداء الله وفي ولائها للمؤمنين وعداوتها للكافرين وفي أخذها للعلم وفي الاجتماع وعدم الفرقة .

هذه الأمة مضت على هذا النهج قروناً عدة متماسكة لم يضرها ما حصل لها من هزات قوية منذ التفرق الذي حصل في بدايتها على أيدي الخوارج والشيعة وما أحدثته الكتب التي عربت من بلبلة الأفكار ونشوء العقائد المخالفة المنحرفة عن الإسلام وعقيدته الصافية وأيضاً على امتداد الحروب الصليبية... وغيرها من الفتن إلا أنها بقيت محافظة على قضايا الإسلام من عقيدة وتحكيم للشريعة وتماسك للأخلاق وقيام بالجهاد ونشر للعلم . إلى غير ذلك من أساسيات الشريعة العظيمة . ثم بعد ذلك ما الذي حصل لهذه الأمة التي أخرجها الله للناس خير أمة ؟ . .

تصدع بناؤها وأراد أن ينقض فنظر إليه المصلحون وهم يبغون الإصلاح وينشدونه وفي الصفحات الآتية محاولة لإصلاح ذلك الصدع والله سبحانه أسأل أن يسدد ويوفق .

العقيدة

في هذا الجانب حصل الشرك بالله فدعي غير الله ورجا كثير من المسلمين غير الله وصرفت المحبة لغيره وذبح لغيره وتوكل على غيره وحلف بغيره كما وجد في بلاد المسلمين من يعبد غير الله من القبوريين حيث يدعون الموتى و الأولياء من دون الله وكان ذلك ابتداءً على أيدي الشيعة والصوفية فكان ذلك هدماً للتوحيد حيث أعملوا (فيه معاول هدمهم بغلوهم في أئمتهم وشيوخهم وتقديسهم للمشاهد والمزارات وتبركهم بالآثار وسجودهم على العتبات وتقديمهم النذور والقربات وما زال الأمر يستفحل والخطر يشتد حتى وصل إلى ما نشاهده الآن في معظم بلاد الإسلام من إقامة القباب على القبور وإنشاء المقاصير حولها وتزيينها بالزخارف وفرشها بالبسط وإيقاد السرج عليها ووضع صناديق النذور عندها وفتحها للزائرين والزائرات يحجون إليها ويرتكبون عندها كثيراً من الأعمال الشركية كالطواف والتقبيل ووضع النذور والتوسل والمناجاة وذبح القرابين وإقامة المهرجانات الجاهلية التي يسمونها (الموالد) إلى غير ذلك مما يئن منه الإسلام وتتفتت على صخرته كل قواعد التوحيد)[1] .

ومما يتصل بهذا الجانب العقدي أيضاً إتيان الكهان والعرافين وتصديقهم فيما يقولون وقد ورد الوعيد على ذلك حيث قال عليه الصلاة والسلام : (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)[2] ، وقال عليه الصلاة والسلام : (من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً)[3] .

وأيضاً مما يتصل بهذا الجانب العقدي تفشي الفكر الإرجائي الذي تبلور في حس الناس فأصبح الإيمان قضايا وجدانية في القلب ليس لها رصيد واقعي من العمل بهذا الدين حتى إذا ما أنكرت على أحدهم في عدم العمل بمقتضى الأمر الإلهي قال لك الإيمان في القلب المهم النية وهو في نفس الوقت تارك للعمل بأمر الله القائل : ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾[4] فكأن

---

[1] دعوة التوحيد ص ٧٤ .

[2] رواه أحمد (٢ / ٤٢٩) .

[3] رواه مسلم (٢٢٣٠) وجملة (فصدقه بما يقول) عند أحمد (٦٨/٤ ، ٣٨٠/٥) بسند صحيح .

[4] الكهف آية (٣٠) .

المسلمين نسوا تعاليم ربهم وما ذاك إلا لبعدهم عن أمره تعالى المتمثل في كتابه المنزل وسنة رسوله المرسل التي اشتملت على التحذير من الشرك والوقوع فيه .

قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾[1] . وقوله : ﴿ إنَّه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾[2] . وقوله : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً ﴾[3] . وقوله : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾[4] . وقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ : " قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه "[5] . وقال عليه الصلاة والسلام : " أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ، قال : الرياء "[6] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار "[7] . فهذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تحذر من الشرك وتتوعد صاحبه بعدم المغفرة والخلود في النار ولا حول ولا قوة إلا بالله ، لذلك نجد بعد هذا التحذير وما فيه من خطورة لم يكتف الشارع الحكيم بهذا بل نجده حرم الوسائل المفضية إلى الشرك حماية للتوحيد . [فنهى عن الألفاظ الموهمة للندية والمساواة بين الله وبين أحد من خلقه كقولك مثلاً أنا في حمى الله وفلان أو أنا متوكل على الله وعلى فلان أو ما شاء الله وفلان وبين المخرج من ذلك وهو أن يعطف بـ(ثم) لا بالواو فيقول باسم الله ثم باسم فلان وأنا في حمى الله ثم فلان . . . الخ .

---

[1] النساء آية (٤٨) .
[2] المائدة آية (٧٢) .
[3] الأنعام (١٥١) .
[4] النساء أية (٣٦).
[5] رواه مسلم (٢٩٨٥) .
[6] رواه أحمد (٤٢٨/٥ ، ٤٢٩) والبغوي في شرح السنة (٣/١٤ ، ٣٢٤) .
[7] البخاري (١٢٣٨) و (٤٤٩٧) و (٦٦٨٣) .

قال عليه الصلاة والسلام : " لا يقولنَّ أحدكم ما شاء الله وفلان وليقل ما شاء الله ثم فلان "[1] . وذلك لأن العطف بالواو يقتضي المساواة بين المعطوف والمعطوف عليه بخلاف بـ(ثم) فإنه يقتضي تأخر المعطوف في الرتبة عن المعطوف عليه . وكذلك نهى عن الألفاظ التي فيها تعظيم لغير الله أو نسبة تأثير إليه ، كقولك : وحياتك أو وحياة أبيك ، أو لولا فلان لكان كذا ولولا صياح الديك مثلاً أو نهيق الحمار لسرقنا اللصوص ونحو ذلك .

ونهى أيضاً عن اتخاذ المساجد على القبور لأن ذلك قد يكون ذريعة إلى تعظيمها وعبادتها ،وقد استفاض عنه ﷺ أنه قال : " لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "[2] .

ونهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لما في ذلك من التشبه بعبادها حيث يتحرون السجود لها في هذه الأوقات قال عليه الصلاة والسلام : " لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها "[3] . ونهى عن شد الرحال إلى مكان من الأمكنة بقصد التقرب إلى الله بالعبادة فيه إلا إلى المساجد الثلاثة التي هي المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الأقصى .

ونهى أن يقوم الناس بعضهم لبعض على جهة التعظيم . قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه حين رآهم قاموا له : " لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضاً "[4] .

وصلى بهم مرة جالساً من وجع وصلوا وراءه قياماً ، فأشار إليهم أن اجلسوا ، ثم قال لهم بعد أن فرغ من صلاته : "كدتم أن تفعلوا آنفاً فعل فارس بعظمائها ، يجلس الرجل ويمثل الناس قياماً بين يديه "[5] .

ونهى ﷺ أصحابه عن الغلو فيه والمبالغة في مدحه فقال : " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبده فقولوا عبدالله ورسوله "[6] .

---

[1] ابن ماجة (٢١١٨) والدارمي (٢٩٥/٢) وأحمد (٧٢،٣٩٣/٥) والطبراني في الكبير (٨٢/٥) عن الطفيل بن سخبرة .

[2] رواه البخاري (٤٣٥)

[3] رواه البخاري (٥٨٢) .

[4] رواه أبو داود (٥٢٣٠) وابن ماجة (٣٨٣٦)

[5] رواه مسلم (٤١٣) بلفظ (إن كدتم آنفاً لتفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا " .ابن حبان (٢١٢٣ ، أحمد (١٤٦٣)

[6] رواه البخاري (٦٨٣٠) ومسلم (١٦٩١) وابن حبان (٤١٣) .

وقال : " لا تتخذوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وصلوا علي حيثما كنتم "[١] .

وقال للوفد الذين قالوا له أنت سيدنا وابن سيدنا : " إنما السيد الله "[٢] ، وقال للرجل الذي قال ما شاء الله وشئت : " أجعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده "[٣] . وقال للرجل الذي دخل عليه فأخذته رعدة من هيبته : " هون عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة "[٤] .

ونهى عن إشراف القبور وتجصيصها وبناء القباب عليها وإيقادها بالسرج والعكوف عليها خشية الافتتان بها والوقوع في تعظيمها . وأنكر ﷺ على معاذ بن جبل رضي الله عنه حين دخل عليه فسجد له ، وقال له : ما هذا يا معاذ ؟ لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، ولكن لا ينبغي السجود إلا لله ؟ ثم قال له : " أرأيت يا معاذ لو مررت على قبري أكنت ساجداً له ؟ قال لا ، قال لا تفعل "[٥] .

ونهى عن الوفاء بالنذر إذا نذر في مكان يعبد فيه صنم أو يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية ، فقد جاء رجل فقال يا رسول الله إني نذرت أن أنحر إبلاً " ببوانه " فسأل النبي ﷺ : هل كان في هذا المكان صنم من أصنام الجاهلية يعبد ؟ فقيل لا ، فسأل هل كان يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية ؟ فقيل لا . فقال للرجل : " فأوف بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية ، ولا فيما لا يملك ابن آدم] "[٦] . هكذا كانت أوامر الشارع الحكيم كلها تسد باب الوقوع في الشرك مما يعطيك ويوضح لك عظم هذا التوحيد ووجوب المحافظة عليه ووجوب البعد عن الشرك بعداً عظيماً . وأن على من وقع فيه أن يعالج هذا الانحراف بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ وذلك بتجسيد أوامر الله ورسوله واقعاً فعلياً فيكون ذلك بأن لا يرجى إلا الله . ولا يدعى إلا الله ولا يخاف إلا من الله ولا يستغاث إلا بالله ولا يحلف إلا بالله ولا يسجد إلا لله ولا يعتقد في أحد أن يجلب له النفع ويدفع عنه الضر إلا الله ولا يعتقد أن أحداً كائناً من كان مع الله في تصريف هذا الكون ، بل

---

[١] أبو يعلى في مسنده (٤٦٩) ومصنف ابن أبي شيبة (٣٧٥/٢) . وأحمد (٨٧٩٠).

[٢] أبو داود (٤٨٠٦) والبخاري في الأدب (٢١١) .

[٣] أخرجه أحمد (٣٤٧/١،٢٨٣،٢٢٤،٢١٤) وابن ماجة (٢١١٧) والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣) .

[٤] ابن ماجة (٣٣٠٣)

[٥] أحمد (١٨٥٩١).

[٦] رواه مسلم ٧٨/٥ عن عمران بن حصين بلفظ (لا وفاء لنذر في معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم . انظر كتاب دعوة التوحيد ٧٠-٧٣ .

يكون موحداً لله في ذاته وألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته متقرباً إليه بالعبادات التي شرعها على لسان رسوله الكريم ﷺ ومتحاكماً إلى شريعته ومحكماً لها في كل شئونه بحيث لا يرى غيرها ولا يطمئن لسواها . ويكون أيضاً عن طريق تقوية الإيمان بالله بالتأمل في عظيم مخلوقاته والتدبر لآياته النفسية والكونية والشرعية لأن في تأملها ما يقوي الإيمان ويبعث في النفس اليقين .

ويكون أيضاً بالتعرف على مصير المشركين والنظر بعين البصيرة إلى آثار الشرك في الأمم السابقة وآثاره على الفرد والجماعة في المتأخرين والعمل على تلافي هذه الآثار بالعودة إلى التوحيد الخالص . ﴿ قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً ﴾[1] .

أما ما يتعلق بالإيمان وأنه قول وعمل وليس قضايا وجدانية كامنة في القلب ليس لها رصيد من الواقع . يكون علاج ذلك الانحراف بالتعرف على أن الإيمان قول وعمل فلا يكفي مجرد حصول الإيمان الوجداني في القلب بل لا بد من العمل بمقتضى الإيمان وذلك بترجمة هذا الإيمان القلبي واقعاً ملموساً يظهر أثره على الجوارح وطريق ذلك هو تجسيد أوامر الله ورسوله ﷺ في ممارسات المرء عملاً بقوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾[2] .

وأيضاً بالنظر إلى ما كان عليه الصحابة من العمل بهذا الدين فقد (كانت حقيقة الجيل الأول الذي رباه رسول الله ﷺ حقيقة حية للإيمان كما فهموه وتربوا عليه لقد كانت حياتهم حلقات قاسية من المعاناة والتربية بالأحداث والتجارب والفتنة والابتلاء كان الإيمان الراسخ في القلوب يحرك ذلك الجيل لأعمال ضخمة فكانت التضحيات وكانت الغزوات والسرايا وكان الجهاد ينشر هذا الدين كل ذلك يعتبر برهاناً ساطعاً على حقيقة دين الله تعالى ، وحقيقة النفس التي يجب أن تؤمن به وتستقيم عليه مع صراع مستمر لدحر الجاهلية بكل أشكالها)[3] .

---

[1] الجن (٢٠) .
[2] الكهف (١٠٧) .
[3] بدع الاعتقاد ص (٤٢) .

فانظر إلى هذا الفهم من الصحابة رضوان الله عليهم وقارن به حال من أخرج العمل من مسمى الإيمان يتضح لك الفرق ويظهر لك الانحراف في هذا الجانب العقدي الخطير فإن فعلت ذلك بان لك النور ووضح لك الطريق المستقيم فاسلكه تكن من الناجين بإذن رب العالمين .

الحكم

في هذا الجانب حكمت وتحاكمت هذه الأمة في كثير من بلادها لغير شريعة الله تعالى واستبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير فجعلت القوانين الوضعية التي هي من حثالة أذهان البشر مكان شريعة الله تعالى وفضلت حكم الطاغوت على حكم الله تعالى وقد عد العلماء هذا التحاكم من نواقض الإسلام .

(من اعتقد أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه) فهذا كافر بإجماع أهل العلم ومن هؤلاء الكفار الذين يفضلون أحكام الطواغيت الوضعية على حكم رسول الله ﷺ ، فهؤلاء كفار ، لتفضيلهم أحكام أناس مثلهم . بل قد يكونون دونهم . على حكم رسول رب العالمين ،الذي بعثه الله هدىً للعالمين ، وليخرج الناس من الظلمات إلى النور "[1] .

على هذا فليعلم أن التحاكم إلى غير شريعة الله تعالى هو تحاكم إلى الطاغوت الذي أمرنا الله تعالى أن نكفر به قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾[2] .

فالآية الكريمة توضح أن التحاكم إلى غير شريعة الله منافٍ لدعوى الإيمان فلو كان الإيمان متحققاً في قلوبهم لما تحاكموا إلى غير الله سبحانه حيث أمرهم بالكفر بالطاغوت ولكنهم اتبعوا خطوات الشيطان فأضلهم عن الصراط المستقيم . فإن من اتباع خطوات الشيطان في عصرنا . المحاكم المنصوبة التي تحكم بغير شريعة الله في كل قضايا الناس (فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملة مفتوحة الأبواب والناس إليها أسراب إثر سراب يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب من أحكام ذلك القانون وتلزمهم به وتقرهم عليه وتحتمه عليهم فأي كفر فوق هذا الكفر وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة . . .

---

[1] التبيان شرح نواقض الإسلام ص (٤٧) .

[2] النساء آية (٦٠) .

فيا معشر العقلاء ويا جماعات الأذكياء وأولي النهي كيف ترضون أن تجري عليكم أحكام أمثالكم وأفكار أشباهكم أو من هم دونكم ممن يجوز عليهم الخطأ بل خطأهم أكثر من صوابهم بكثير بل لا صواب في حكمهم إلا ما هو مستمد من حكم الله ورسوله نصاً أو استنباطاً تدعونهم يحكمون في أنفسكم ودمائكم وأبشاركم وأعراضكم وفي أهاليكم من أزواجكم وذراريكم وفي أموالكم وسائر حقوقكم ويتركون ويرفضون أن يحكموا فيكم بحكم الله ورسله الذي لا يتطرق إليه الخطأ ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وخضوع الناس ورضوخهم لحكم ربهم خضوع ورضوخ لحكم من خلقهم تعالى ليعبدوه فكما لا يسجد الخلق إلا لله ولا يعبدون إلا إياه ولا يعبدون المخلوق فكذلك يجب أن لا يرضخوا أو ينقادوا إلا لحكم الحكيم العليم الحميد الرؤوف الرحيم دون حكم المخلوق الظلوم الجهول الذي أهلكته الشكوك والشهوات والشبهات واستولت على قلوبهم الغفلة والقسوة والظلمات فيجب على العقلاء أن يربأوا بنفوسهم عنه لما فيه من الاستعباد لهم والتحكم فيهم بالأهواء والأغراض والأغلاط والأخطاء فضلاً عن كونه كفراً بنص قوله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾[1] .

وأيضاً يدخل في التحاكم إلى غير شريعة الله تعالى من يتحاكمون إلى مشايخ القبائل في حل الخصومات والنزاعات الحاصلة بينهم بما تعارفوا عليه من أحكام . حيث إنها ليست صلحاً كما يزعمون بل هي أعراف مقننة يتوارثونها عن أكابرهم السابقين يحكمون بها بين المتخاصمين دون الرجوع إلى شريعة الله سبحانه وتعالى .

(ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي ونحوهم من حكايات آبائهم وأجدادهم وعاداتهم التي يسمونها (سلومهم) يتوارثون ذلك منهم ويحكمون به ويحصلون على التحاكم إليه عند النزاع بقاءً على أحكام الجاهلية وإعراضاً ورغبة عن حكم الله ورسوله فلا حول ولا قوة إلا بالله)[2] .

---

[1] تحكيم القوانين ص (٦،٧) الآية في سورة المائدة (٤٤) .

[2] تحكيم القوانين ص (٧) .

فالشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى سماها أحكام الجاهلية لأن مصدرها العقل الجاهل بحكم الله ورسوله فماذا يتوقع من كان هذا حال عقله إلا أن يخرج منه الجهل المؤدي للإعراض والرغبة عن حكم الله ورسوله والعياذ بالله من ذلك . ومما يوضح هذه المسألة أيضاً السؤال الذي وجه إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء .

س/ ما الحكم إذا تخاصم اثنان مثلاً وتحاكما إلى الأحكام العرفية فمثلاً يضع كل منهما معدالاً كما يسمونه ويرضون من مشائخ القبائل من يحكم بينهما ويجلسان بين يديه ويبث كل منهما دعواه ضد الآخر فإذا كانت القضية بسيطة حكم فيها بذبيحة على المخطئ يذبحها لخصمه وإذا كانت كبيرة حكم فيها (بجنبية) أي كانوا في القدم يضربونه على رأسه بآله حادة حتى يسيل دمه ولكن اليوم تقدر (الجنبية بدراهم) ويسمون هذا صلحاً وهذا الشيء منتشر بين القبائل ويسمونه مذهباً بمعنى إذا لم ترض بفعلهم هذا يقولن عنك (قاطع المذهب) فما الحكم في هذا فضيلة الشيخ ؟ .

ج/ الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد :

يجب على المسلمين أن يتحاكموا إلى الشريعة الإسلامية لا إلى الأحكام العرفية ولا إلى القوانين الوضعية وما ذكرته ليس صلحاً في الحقيقة وإنما هو تحاكم إلى مبادئ وقواعد عرفية ولذا يسمونها مذهباً ويقولون لمن لم يرض بالحكم بمقتضاها قاطع المذهب وتسميته صلحاً لا يخرجه عن حقيقته من أنه تحاكم إلى الطاغوت ثم الحكم الذي عينوه من الذبح والضرب بآلة حادة على الرأس حتى يسيل منه الدم ليس حكماً شرعياً وعلى هذا يجب على مشايخ القبائل ألا يحكموا بين الناس بهذه الطريقة ويجب على المسلمين ألا يتحاكموا إليهم إذا لم يعدلوا عنها إلى الحكم بالشرع)[1] . ففي هذا الجواب فوائد عدة منها :

١) وجوب التحاكم إلى الشريعة الإسلامية لأن التحاكم إليهاليس نفلاً .

٢) وجوب ترك التحاكم إلى الأعراف والقوانين الوضعية .

---

[1] فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ج١ ص(٥٤٥) .

٣) نفي كونه صلحاً بل هو تحاكم إلى الطاغوت وهذا فيه رد زعمهم من أنه صلح .

٤) نفي أن يكون المذهب حكماً شرعياً لأنه يرتكز على مبادئ وقواعد عرفية مستقاة من العقل الجاهل لا من الشرع المنزل .

٥) تحذير مشايخ القبائل بالحكم بين الناس بهذه الطريقة الجاهلية التي لا تتصل بحكم الله تعالى لا من قريب ولا من بعيد . ألا فليتق الله ذلك العقل الكليل أن يعارض الشرع بهواه العليل المريض .

٦) أن الحاكم بهذا يسمى طاغوتاً ففي هذا بيان لأولي النهى .

٧) تحذير الناس من التحاكم إليهم ووجوب رد خصوماتهم إلى حكم الله ورسوله ﷺ .

ومن ترك التحاكم إلى شريعة الله أيضاً ترك حكم الله في العلاقات مع الدول الكافرة فنتج عن ذلك الموافقة لأعداء الله من اليهود والنصارى وغيرهم فأصبحت العلاقة معهم علاقة صداقة ومحبة وسلام إلى غير ذلك من الدعاوى التي تخالف الشريعة العظيمة لذلك نجد أن العودة لمثل هذه الأحكام الجاهلية وتحكيمها في بلاد المسلمين سبب الذل والخضوع لغير الله .

وإن تحكيم القوانين الوضعية ليس ضرره جزئياً بل نجده كلياً لأن أصل هذه القوانين مستمد من عقائد وعقول أناس لا يعرفون للدين معنى فتحكيمها يؤدي إلى صبغ الحياة بتلك العقائد الجاهلية المستمدة من أصحابها فعلى هذا تكون هذه القوانين بمثابة الأخطبوط الذي يسيطر على جميع مناحي الحياة فيربطها به ومن ثم يحركها كيف يرغب فيكون الحال بعد ذلك الفساد والضياع والظلم والجرائم والمعاصي والحروب والفقر والاحتكار والاختلاف والفرقة .

فلو حكمت شريعة الله لحصل للبشر السعادة والتمكين في الأرض . فهل يفيق المسلمون من غفلتهم وإعراضهم عن شريعة ربهم التي تكفل لهم السعادة في الدنيا بعدلها وفي الآخرة بثواب الأجر في تطبيقها وذلك بالرجوع لها وتحقيقها في كل شئونهم وقضاياهم وأن يعرضوا عن القوانين

الجاهلية : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾[1] . فما بعد الهدى إلا الضلال على هذا لا بد من المخرج من هذه الظلمات فيا ترى أين المخرج وأين الطريق إلى النور ؟ . الطريق هو الرجوع إلى الكتاب والسنة وذلك بالتعرف من خلالهما على وجوب الحكم بالشريعة وأن هذه المسألة ليست نافلة أو قضية تقبل الأخذ والعطاء في وجوب تحقيقها إنما هي قضية فارقة بين الكفر والإيمان .

ومن المُستيقَن أن في تحكيم الشريعة تحقيقاً للسعادتين حيث يعيش الناس في ظل حكم ربهم في أمن وطمأنينة فلا يجد الظالمون منفذاً إلى ظلم الآخرين ، وفي ظل حكم الله يتساوى السادة والعبيد والأغنياء والفقراء فلا فرق بينهم حينئذ إلا بالتقوى عند ذلك تتحقق الوحدة للأمة الإسلامية . وأيضاً تقل الجرائم فيتحقق الأمن للناس في ظل الحكم بالشريعة .

ومن المخرج التعرف على مفهوم التحاكم للشريعة فمن المعلوم أن رسالة النبي محمد ﷺ جاءت خاتمة الرسالات تحمل في طياتها عقيدة وشريعة فجاهد رسول الهدى لإقامة العقيدة في نفوس الناس وعقولهم وقلوبهم وجاهد في إرساء الشريعة وتطبيقها في كل شؤون الحياة مما أنتج مجتمعاً صالحاً موحداً عاملاً بمنهاج الله في شؤون حياته السياسية والاقتصادية والجهادية والاجتماعية وغيرها مما يدلك على شمول هذه الشريعة وثباتها وقدرتها على مواجهة أي قضية تستجد في واقع الناس لما فيها من المرونة ولما أودع الله فيها من الأحكام المصلحة لكل زمان ومكان وأن من استقرأ التاريخ في حياة المسلمين يجده حافلاً بقيام المسلمين بالتحاكم إلى الشريعة مما يزيدك يقيناً أن هذا الدين قادر على مواجهة ما استجد من قضايا في أي عصر من العصور .

والسؤال هو كيف يكون التحاكم إلى الشريعة في حياة المسلم ؟ . والجواب: يتحاكم إليها عقيدة فلا يعتقد إلهاً غير الله ولا يدعو غير الله ولا يستعين بغيره ولا يتوكل على غيره ولا يعتقد أن هناك رباً سوى الله يصرف الكون ولا يعتقد في أسماء الله وصفاته خلاف ما أمر به ربه مما وصف به نفسه أو بما وصفه به رسوله الكريم ويتحاكم إليها باتباع رسوله ﷺ فلا يقدم قولاً على قوله ولا حكماً على حكمه .

---

[1] المائدة آية (٥٠) .

ويتحاكم إليها شريعة فيقيم كل عباداته وفق تعاليم الله من صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد وأمر بمعروف ونهي عن منكر . فلا يزني ولا يسرق ولا يغش ولا يحتكر ولا يرابي ولا يقول الزور ولا يشهده ويعامل الناس معاملة حسنة . وأن تكون أخلاقه وقيمه وتصوراته وموازينه وثقافته وتفكيره وأخذه وعطاؤه وحبه وكرهه وبغضه وأنسه وفرحه وغضبه ورضاه وخوفه ورجاؤه وتعامله مع أهله ووالديه وجيرانه وأصحابه وإخوانه وعشيرته وأرحامه وقرابته أن يكون كل ذلك وفق ما أنزل الله على رسوله الكريم ﷺ . وأن يقيم بيته على منهج الله فلا يجلب إليه المحرمات من المرئيات والمسموعات وأن يكون كسبه من حلال فلا يضع في أفواه أبنائه وزوجته حراماً . وأن يربي أبناءه على تعاليم الإسلام وأن يبني تجارته على وفق أمر الله ورسوله فلا يغش ولا يرابي ولا يجلب إلى أسواق المسلمين ما يخالف عقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم الإسلامية مما يكون فيه جرح لمشاعرهم وتأثير على أفكارهم ومقدساتهم وعقائدهم من الأفلام الخليعة والقصص والمجلات الماجنة بل يكون ذا غيرة على حرمات الله وأن يكون ذا علم بكل ذلك حتى يتوقى الشر فلا يجلبه إلى المسلمين .

ويتحاكم إليها في علاقاته مع الآخرين فلا يبني علاقة مع أحد إلا وفق مراد الله ومراد رسوله عليه الصلاة والسلام ؛ ويتحاكم إليها في خصوماته وجناياته فإذا تنازع مع أحد في شيء رده إلى كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ . قال تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾[1] .

أن يتحاكم إليها وهو مطمئن النفس راضياً بحكم الله ورسوله فلا يجد في صدره حرج أو ضيق أو تبرم من حكمه تعالى بل لا بد بعد القضاء من التسليم قال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾[2] .

مما سبق اتضح لذي عينين المقصود من التحاكم إلى الشريعة فلم يبق إلا أن نأخذ أنفسنا بالحق ونتحاكم إلى الشريعة الإسلامية ، فوالله سنجد حلاوتها ولسوف تستقر نفوسنا وتطمئن فتسعد

---

[1] النساء آية (٥٩) .

[2] النساء آية (٦٥) .

فمن فعل ذلك فقد خرج من الظلمات إلى النور . وأخيراً فليعلم أن من أقر لله بالألوهية فعليه أن يقر بالحكم له وحده إذ الحكم بالشريعة من مقتضى الألوهية ، ولا ينتفي الشرك إلا بالعمل بمقتضى توحيد الألوهية وترك الإشراك في حكم الله قال تعالى:{ ولا يشرك في حكمه أحداً}[1]

[1] الكهف آية (٢٦) .

الجهاد

في هذا الجانب حصل الانحراف وذلك بخلود المسلمين إلى الأرض وتركهم الجهاد في سبيل الله فأصابهم الذل والمهانة وتسلط عليهم الأعداء . إن الواجب نحو الكفار هو دعوتهم إلى الإسلام ثم جهادهم حتى تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله فيحصل بذلك العز للمسلمين . يقول الشيخ البسام : " وجوب قتال الكفار ومهاجمتهم بعد دعوتهم والإعذار إليهم حتى تكون كلمة الله هي العليا وأن قتال الكفار في الإسلام ليس مدافعة فقط بل هو حركة جهادية حتى يكون الدين كله لله "[1] .

إن القتال في الإسلام ليس لغرض دنيوي ولا من أجل قومية أو وطنية أو عصبية أو أي شعار آخر . قال تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾[2] .

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى عند هذه الآية الكريمة :

(إنه القتال لله لا لأي هدف آخر من الأهداف التي عرفتها البشرية في حروبها الطويلة القتال في سبيل الله لا في سبيل الأمجاد والاستعلاء في الأرض ولا في سبيل المغانم والمكاسب ولا في سبيل الأسواق والخامات ولا في سبيل تسويد طبقة أو جنس على جنس إنما هو القتال لتلك الأهداف المحددة التي من أجلها شرع الجهاد في الإسلام . القتال لإعلاء كلمة الله في الأرض وإقرار منهجه في الحياة وحماية المؤمنين به أن يفتنوا عن دينهم أو أن يجرفهم الضلال والفساد وما عدا هذه فهي حرب غير مشروعة في حكم الإسلام وليس لمن يخوضها أجر عند الله ولا مقام ومع تحديد الهدف تحديد المدى ﴿ ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ والعدوان يكون بتجاوز المحاربين المعتدين إلى غير المتحاربين الآمنين المسالمين الذين لا يشكلون خطراً على الدعوة

---

[1] توضيح الأحكام ج (٥) ص (٣٧٣) .

[2] البقرة آية (١٩٠) .

الإسلامية ولا على الجماعة المسلمة كالنساء والأطفال والشيوخ والعباد المنقطعين للعبادة من أهل كل ملة ودين)[1] .

إذاً الجهاد هو لإعلاء دين الله وإقرار منهجه في الأرض وحماية للمؤمنين أن يفتنوا عن دينهم . فما دام الجهاد في الإسلام بهذا المفهوم الصائب فلماذا لا يتسابق المسلمون إليه وهو عز ونصر وعلو لدين الله وإنقاذ للضعفاء والمساكين من المتسلطين الظالمين ؟ . وقد حث النبي ﷺ على الجهاد بكل أنواعه ورغب فيه ، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : " جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم "[2] .

في الحديث دلالة على وجوب جهاد الكفار بالمال بشراء السلاح وتموين الجيش والغزاة ليكون عوناً على القيام بمهمة الجهاد العظيمة . وبالنفس بالخوض في معمعة المعركة تشم غبارها وترى دماءها وتقاسي ضرباتها وباللسان دعوة إلى الدين وبيان محاسنه وفضائله وقواعده وفروعه والذب عنه رداً على الملحدين والمبتدعين ومقارعتهم بالبيان والحجة والأخذ بهم إلى المحجة مستخدماً كل وسيلة من كتابة وإعلام . وهذا يبين لك أن الجهاد في سبيل الله يكون بكل ما يملك الإنسان ولكن المتأمل في حال المسلمين اليوم إلا القليل من الدعاة المخلصين تركوا الجهاد بكل فروعه فهم في خضم الحياة سائرين لاهين غافلين عن تخطيط أعداء الإسلام وما ذلك إلا بتأثير الغزو الفكري الذي استشرى شره وظهر أمره في بلاد المسلمين عن طريق وسائل الإعلام حيث رُبِّيَ المسلمون عبر هذه القنوات التي سلطت على الفكر أن الإسلام لم ينشر بالدعوة وإنما انتشر بالقتال فقام المسلمون يردون عليهم أن حروبه لم تكن إلا دفاعية فقط فكان لهذا القول أثره العظيم في عقلية المسلم في التواني عن الجهاد فبهذا المفهوم الخاطئ عُطِّل الجهاد في سبيل الله تعالى وعطلت معه الدعوة إلى الإسلام فانظر أخي اللبيب إلى هذا الفهم العجيب كم جلب للمسلمين من ذل وخضوع وضعف فكان تسلط الأعداء عليهم . فهل يعي المسلمون قول نبيهم ﷺ : " من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق "[3] .

---

[1] الظلال ج (١) ص (١٨٧-١٨٨) .

[2] أخرجه أبو داود (٢٥٠٤) .

[3] مسلم (١٩١٠) .

اللهم أبعدنا عن النفاق وقونا على الجهاد في سبيلك .

ما دام قد استقر في أذهاننا هذا الفهم ووعينا أنه فهم خاطئ سقيم قد صب في عقولنا من قبل أعدائنا ألا يحفزنا هذا إلى تلمس العلاج لنخرج من أمراضنا بفعل الأسباب المؤدية إلى رفعه ؟ . الجواب : بلى ؛ وذلك يكون أولاً بالتعرف على أهمية الجهاد والتيقن أنه ذروة سنام الإسلام وأن نتذكر أن العز لسلفنا كان في أخذ ما آتاهم الله بقوة بلا تقاعس ولا فتر ولا تواني ولا خور .

ثانياً : تذكر فوائد الجهاد المعنوية والحسية من الخير في الغنيمة والنصر العظيم والأجر الكثير ومن إخراج المغزوين من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام .

ثالثاً : بث الوعي لتصحيح المفهوم الخاطئ آنف الذكر أن الجهاد لم يشرع إلا للدفاع وإبداله بالمفهوم الصحيح من أن الجهاد شرع لنشر الدين وإعلاء كلمته . والتخلص ممن يقف في سبيل نشره من الملحدين الظالمين .

رابعاً : فقه معنى الجهاد بالمفهوم العام ومحاولة تصحيح هذا المفهوم لدى الناس حتى يصلح حالهم ويكون ذلك حافزاً لهم على إصلاح أحوالهم .

وقد ذكر الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى– أن الجهاد(أربع مراتب: جهاد النفس ، وجهاد الشيطان ، وجهاد الكفار ، وجهاد المنافقين. فجهاد النفس أربع مراتب أيضاً:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعاد في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين .

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه ، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه.....

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ، ويتحمل ذلك كله لله..

وأما جهاد الشيطان فمرتبتان:

إحداهما : جهاده على دفع ما يلقى إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

الثانية: جهاده على دفع ما يلقى إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات.

فالجهاد الأول يكون بعده اليقين ، والثاني يكون بعده الصبر ، قال تعالى:{ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون}[1] ، فأخبر أن إمامة الدين إنما تنال بالصبر واليقين ، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة ، واليقين يدفع الشكوك والشبهات.

وأما جهاد الكفار والمنافقين فأربع مراتب: بالقلب ، واللسان ، والمال ، والنفس.

وجهاد الكفار أخص باليد ، وجهاد المنافقين أخص باللسان.

وأما جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات فثلاث مراتب:

فالأولى باليد إذا قدر ، فإن عجز انتقل إلى اللسان ، فإن عجز جاهد بقلبه....) [2]

---

[1] السجدة آية (٢٤) .

[2] زاد المعاد ج٣ (٩، ١٠، ١١).

المال

في هذا الجانب كانت صور الانحراف كثيرة متعددة منها الربا والتطفيف في الكيل والميزان والغش والرشوة والاحتكار والنجش وأكل الحرام من أي طريق كان فتناسى المسلمون أمر ربهم وتركوا سنة رسولهم ﷺ في تحريم الربا والتطفيف . متعامين عنها وكأنها لا تعنيهم فهم يصرون على نشر البنوك في كل بلد وكل مدينة ، البنوك التي تتخذ من الربا المحرم قاعدة تنطلق منها في معاملاتها بل نجد أنهم لم يكتفوا بنشر الربا فحسب بل نصبوا المحاكم التجارية التي تخالف الشريعة وجعلها هي التي تفصل بين الناس فيما يعرض لهم من الخصومات التي تتعلق بالبنوك والشركات وغيرها حيث إنها تقر الفوائد الربوية وغيرها مما هو مخالف لقواعد الشريعة ويتنافى مع تشريعاتها العظيمة .

فهل يعي المسلمون أمر ربهم وأمر رسوله ﷺ بأن يتركوا ما حرم الله من الربا والغش والاحتكار والتطفيف في الكيل والميزان فقد قال تعالى : ﴿ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾[1] وقال رسول الهدى ﷺ : " من غشنا فليس منا "[2] .

ففي الآية والحديث تحذير من الغش والتطفيف والوعيد على ذلك .

وقال تعالى في تحريم الربا والوعيد على متعاطيه : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ﴾[3] . وقال تعالى : ﴿ يا أيها

---

[1] المطففين آية (١) .

[2] رواه مسلم (٢٨٣) .

[3] البقرة الآيات (٢٧٥-٢٧٦) .

الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾[1] .

فهذه آيات واضحات جليات في التحذير من الربا وتحريمه وأنه ماحق للبركة وملعون متعاطيه ومعلن على صاحبه الحرب وفي الحديث عن ابن مسعود ﷺ قال : " لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله "[2] . زاد الترمذي وغيره : " وشاهديه وكاتبه " .

ومن الانحراف الحاصل في حياة الناس في هذا الجانب أن كثير من المسلمين يتعاملون بالبيوع المحرمة من البيع على بيع أخيه وشرائه عليه وتلقي الركبان والمصراة وبيع الحاضر لباد والنجش . وغيرها من البيوع المحرمة . فالمتأمل في واقعهم يجد هذه البيوع المحرمة يعمل بها في حياتهم وكأنها لم تحرم فكم من المسلمين من يبيع على أخيه وكم منهم من يشتري على شرائه وكم منهم من يتلقى الركبان فإنه بالنظر إليهم عند بيع أغنامهم تجد منهم من يصر الشاة والعنز والبقرة وعند بيع السيارات وغيرها من السلع تجد النجش والأيمان الكاذبة في إنفاقها فياله من عجب وجهل قد أطبق على الناس فأصبحوا به متلبسين وله فاعلين إلى هؤلاء نقول عودوا إلى كتاب ربكم وسنة رسولكم ﷺ حيث قال : " لا تلقوا الركبان ولا يبع بعضكم على بيع بعض ولا تناجشوا ولا يبع حاضر لباد ولا تصروا الغنم ومن ابتاعها فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها إن رضيها أمسكها وإن سخطها ردها وصاعاً من تمر "[3] .

وأيضاً من الانحراف الحاصل في حياة الناس في هذا الجانب أن بعض المسلمين يؤجرون محلاتهم التجارية لمن يستعملها في الحرام فلا يفكر المؤجر هل تأجيره لمثل هؤلاء حرام أم حلال ما دامت القضية قضية مال . وقد سئل الشيخ ابن عثيمين– رحمه الله – عن حكم تأجير المحلات التجارية على من يبيع الدخان والغناء وأشرطة الفيديو غير الطيبة والبنوك الربوية فأجاب رحمه الله : " حكم إيجار هذه المحلات يعلم من قوله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم

---

[1] البقرة الآيات (٢٧٨–٢٧٩) .

[2] رواه مسلم ١٢١٩/٣ ، الترمذي (١٢٠٦).

[3] رواه البخاري (٢١٥٠) ومسلم (٣٨١٥).

والعدوان﴾[1] . وعلى هذا فتأجير المحلات للأغراض المذكورة في السؤال حرام لأنه من التعاون على الإثم والعدوان "[2] .

لذلك نجد في كل ما سبق بيان بما يتصل بقضايا المال . وبيان الوجه الصحيح حيث يظهر ذلك من خلال نصوص الكتاب والسنة . فلماذا لا نسلك سبيل الرشد لنحصل على النجاة ونخرج من ظلمات الجهل . وذلك بما يلي :

أولاً : الرجوع الصادق إلى الكتاب والسنة والأخذ بهما بقوة كما قال تعالى : ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾[3] .

ثانياً : التعرف على أضرار الربا وما فيه من إشاعة الظلم والاحتكار للمال في فئة دون أخرى مما يكون محصله اختلال التوازن في بنية المجتمع المسلم .

ثالثاً : إحلال بنوك إسلامية تنطلق من فهم الكتاب والسنة لتحل محل البنوك الربوية ومن ثم إقامة اقتصاد إسلامي متكامل ينطلق من منهج الإسلام .

رابعاً : التنبيه على ما حصل لقوم شعيب عليه السلام لما طففوا الكيل والميزان وعاندوا رسولهم لما دعاهم إلى عبادة الله وحده وأمرهم أن يوفوا الكيل والوزن بالقسط وأن لا يبخسوا الناس أشياءهم ولكنهم لم يأتمروا بأمره فكان عقابهم جزاء أفعالهم . قال الله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام في هذا الصدد:﴿ يا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾[4] .

ولكن حينما تمردوا على رسولهم شعيب عليه السلام ولم يطيعوه ويأخذوا ما جاء به منهجاً لهم يمضون على منواله ويقتفون آثاره حل بهم العذاب الأليم حيث قال لهم شعيب عليه السلام : ﴿ ويا قوم

---

[1] المائدة آية (٢) .

[2] فتاوى الشيخ ابن عيمين ج (٢) ص (٧٠٠) .

[3] البقرة أية (٩٣).

[4] هود الآيات (٨٥-٨٧) .

اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كذاب وارتقبوا إني معكم رقيب . ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود ﴾[1] .

وهنا جملة فوائد ذكرها الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله استخلصها من قصة شعيب عليه السلام قال –رحمه الله – : " وفي قصته من الفوائد والعبر شيء كثير منها أن الكفار كما يعاقبون ويخاطبون بأصل الإسلام فكذلك بشرائعه وفروعه لأن شعيباً دعا قومه إلى التوحيد وإلى إيفاء المكيال والميزان وجعل الوعيد مرتباً على مجموع ذلك ومنها : أن نقص المكاييل والموازيين من كبائر الذنوب وتخشى العقوبة العاجلة على من تعاطى ذلك وأن ذلك سرقة أموال الناس وإذا كان سرقتهم في المكاييل والموازين موجبة للوعيد فسرقتهم على وجه القهر والغلبة من باب أولى وأحرى ، ومنها أن الجزاء من جنس العمل فمن بخس أموال الناس يريد زيادة ماله عوقب بنقيض ذلك وكان سبباً لزوال الخير الذي عنده من الرزق لقوله ﴿ إني أراكم بخير ﴾ أي فلا تتسببوا إلى زواله بفعلكم . ومنها أن على العبد أن يقنع بما آتاه الله ويقنع بالحلال عن الحرام والمكاسب المباحة عن المكاسب المحرمة وأن ذلك خير له لقوله : ﴿ بقية الله خير لكم ﴾ ففي ذلك من البركة وزيادة الرزق ما ليس في التكالب على الأسباب المحرمة من المحق وصد البركة ومنها أن المال الذي يرزقه الله الإنسان وإن كان الله قد خوله إياه . فليس له أن يصنع فيه ما يشاء فإنه أمانة عنده ، عليه أن يقيم حق الله فيه بأداء ما فيه من الحقوق والامتناع من المكاسب التي حرمها الله ورسوله لا كما يزعمه الكفار ومن أشبههم أن أموالهم لهم أن يصنعوا فيها ما يشاءون ويختارون سواء وافق حكم الله أو خالفه "[2] .

فعِ يا أخي ما سبق ولا تكن ممن يسمع القول فلا يتبع أحسنه .

---

[1] هود الآيات (٩٢-٩٥) .

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج (٢) ص (٣٨٦-٣٨٧) .

العلاقات الأسرية

في هذا الجانب حصل الانحراف وتوترت العلاقات الأسرية في مجتمع المسلمين وكثر الخلاف بين الرجل وامرأته وكثر الطلاق والتخاصم فيما بينهم وأصبحت أكثر بيوت المسلمين تهددها المخاطر بسبب البعد عن شريعة الله فكان نتاج ذلك ضياع الأطفال وتحطم الأسر وقلقها ، وتكاد تنحصر الخلافات الزوجية في عدة قضايا :

أولاً : التدخل من قبل إحدى الأسرتين للزوجين في قضاياهم مما يحصل عنه تفاقم الخلاف واختلاف وجهات النظر في القضية التي هي مكان النزاع مما يؤدي إلى قلق الأسرة ومن ثم تفككها .

ثانياً : قلة الفقه لدى بعض النساء في قضية المعاشرة فيحصل الخلاف عند ذلك .

ثالثاً : سيطرة المرأة وعلوها على زوجها وذلك بالتحكم في كثير من القضايا والاستبداد بالرأي دون رضى زوجها فتكون النتيجة ثوران الرجل محاولاً كبح جماح المرأة عند ذلك يحصل الصدام فيؤدي إلى تصدع البناء الأسري .

فعلى الزوجين أن يتذكرا أن الحياة الزوجية ليست علاقة مادية أو دنيوية أو لمجرد قضاء الشهوة كلا بل هي علاقة طيبة وخطيرة يترتب عليها أمور عظام ودور في الحياة كريم .

وقد رتب الشرع للزوجين أموراً متى ما عملا بها صلح أمرهما فعلى المرأة أن تكون عالمة بما عليها من حقوق لزوجها حتى تقوم بها على أكمل وجه وتعلم أن عليها طاعته في غير معصية دون تردد وأن الله جعل للرجال على النساء درجة . وأن تتذكر المرأة التي تكون مطيعة لزوجها إذا ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة . " أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة "[1] .

---

[1] ابن ماجة (١٨٥٤) .

هذا بالنسبة ما على المرأة أن تتفهمه وتعلمه وتعمل به . فما على الرجل يا ترى . عليه أن يتمثل قوله تعالى : ﴿ وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾[1] .

وقوله ﷺ : " خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي "[2] . فحينما يعمل كل واحد من الزوجين بأمر الله ويتفهم دوره الذي ينبغي أن يقوم به فإنه بإذن الله يحصل التوافق والترابط حيث يعم المنزل شذى الحب في ظل العمل بأمر الله . ويقل الطلاق ويضمر الخلاف ويضعف ، ويتربى الأطفال في عش هنيء دافئ يشعرون فيه بمعنى الأبوة .

وأيضاً مما يلحق بهذه القضية وهي العلاقات الأسرية . عقوق الأولاد لوالديهم وعدم طاعتهم والتأفف من خدمتهم وقضاء حوائجهم فأصبح الولد يطيع أصحابه وزملاءه أكثر من طاعته لوالديه بل أن علاقته بهم أكثر من العلاقة بينه وبين والديه فتراه صارفاً معظم وقته إن لم يكن كله في معاشرة الأصحاب والانسياق وراءهم من الجلوس معهم على الأرصفة وقضاء الأوقات معهم في اللعب والسهر إلى آخر الليل فهل يليق بمسلم أن يفعل هذا مع أقرب الناس إليه ممن أسدوا له المعروف والإشفاق وغيره ؟ . وهنا لا بد من التنبيه على أن من أسباب عقوق الأولاد إهمال الآباء لتربية أبنائهم التربية الإسلامية الصحيحة فنتج عن ذلك فسادهم فكان ذلك من أسباب تردي العلاقات الأسرية فيما بينها .

على هذا هل يفيق الشباب من غفلتهم ويعودوا إلى كتاب ربهم وسنة رسوله ﷺ ففيها العلاج من أمراض العقوق . قال تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسناً ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾[4] .

---

[1] النساء آية (١٩) .

[2] ابن ماجه (١٩٧٧) .

[3] العنكبوت آية (٨) .

[4] الإسراء الآيات (٢٣-٢٤) .

وقوله تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك ﴾[1] وفي الحديث عن أبي عبدالرحمن عبدالله بن مسعود ﷺ قال سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله تعالى ، قال : " الصلاة على وقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله "[2] .

وقال ﷺ : " لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه "[3] .

ففي ما تقدم من الآيات والأحاديث بيان حق الوالدين وعظم شأنهما عند الله وعند رسوله ﷺ فتنبه يا من غفلت عن وحي الله إلى هذا ومما يساعد على الخروج من عقوق الوالدين وإبقاءً للتواصل بينك وبين والديك أن تلحظ أخي الشاب محاب والديك مما يكون مشروعاً فتحققها فإن فعلت حصل الحب من والديك عند ذلك تضمر المشاكل وتجف الفتن ويبقى رضاهما ندى يرطب العلاقة ويدعمها . وكما أننا نجد هذه النصوص المتقدمة من الكتاب والسنة تحث على بر الوالدين فإنه في المقابل ورد الوعيد الشديد لمن عق والديه .

عن أبي بكرة نفيع بن الحارث ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ثلاثاً . قلنا بلى يا رسول الله قال : الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت "[4] .

فإنك ترى كيف جاء أمر الرسول عليه الصلاة والسلام في التنبيه على حرمة العقوق للوالدين بعد الشرك بالله فتنبه يا أخي ولا تكن من الغافلين .

ومما يدخل في هذه القضية الانحراف في صلة الأرحام وعدم مواصلتهم من ترك زيارتهم والتشاغل عنهم بل يصل أحياناً إلى هجرهم كلياً . فقد ورد الوعيد الشديد لمن فعل ذلك فعن أبي

---

[1] سورة لقمان آية (١٤) .

[2] رواه البخاري (٢٧٨٢) ورواه مسلم (٨٥)

[3] رواه مسلم (١٥١٠) وأخرجه أبو داود (٥١٣٧) والترمذي (١٩٠٦) .

[4] رواه البخاري (٥٩٧٦) ورواه مسلم (٨٧) .

بكرة ﷺ قال : قال رسول ﷺ : " ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم "[1] .

ففي هذا الحديث دلالة على تحريم قطيعة الرحم وأنه من الذنوب العظيمة الموجبة للعقوبة دنيا وأخرى وسبب في الحرمان من الجنة . حيث قال رسول الله ﷺ : " لا يدخل الجنة قاطع "[2] . فهذا وعيد لمن قطع رحمه ولم يصلها وقدقال تعالى : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ [3] .

فبناءً على ما تقدم يجب على المرء أن يصل رحمه بالتحرر من العادات والشهوات النفسية والمشاكل المؤدية للقطيعة والشكوك الشيطانية نحو من قطعهم فيدفع ذلك بكل طريق وأن يكون المواصل لأرحامه وأقاربه في حسِّه وهو على مدرج الرواح لأرحامه وأقاربه متذكراً وهو يمشي وهو يطرق الباب عليهم وهو يجلس معهم وهو يتكلم معهم أن كل ما يفعله من أجل الله وفي الله وعند الله تهون كل العوائق النفسية التي تكون حائلاً عن مواصلة الأرحام والأقارب وقبل ذلك يتذكر قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه أنس ﷺ أنه قال : " من سره أن يبسط له في رزقه وأن يُنسأ له في أثره فليصل رحمه "[4] .

---

[1] ابن ماجة (٤٢١١) .

[2] رواه البخاري (٥٩٨٤).

[3] الروم الآية (٢٢) .

[4] رواه البخاري (٥٩٨٥) ، أبو داود (١٦٩٣) .

الأخلاق والسلوك

في هذا الجانب حصل الانحراف وبعدت الأمة عن منهاج الله تعالى فحوربت العفة و الفضيلة وانتشر اللواط والزنا في كثير من البلاد الإسلامية . والله تعالى يقول : ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾[1] .

وقال ﷺ : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن "[2] .

وقد ترتب على مقارفة الزنا واللواط إثم عظيم وأمراض كثيرة لها أضرار شنيعة نفسية وعضوية كالسيلان والزهري والإيدز وغيرها لذا يجب البعد عن مقارفة هذه الآثام وعدم القرب منها وطريق ذلك غض البصر والبعد عن النظر في المجلات والتمثيليات وغيرها مما يكون سبباً في تهيج الشهوات المحركة لمواقعه المحرمات .

أيضاً تذكر العقوبة المترتبة على فاعلها في الآخرة ففي حديث الرؤيا الطويل أن النبي ﷺ مر على أناس فإذا هم في مثل التنور فيه رجال ونساء عراة وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم قد فسرت له بعد ذلك بأنهم الزناة والزواني [3].

وأيضاً من الانحراف في هذا الجانب شرب الخمر وبيعه واستعمال المخدرات حتى أصبحت خطراً يهدد البيوت ويهز كيان المجتمعات ويقلقها لما يترتب على متعاطيها من الإثم وما فيها من المفاسد الجسمية والعقلية والروحية والمالية والأسرية فقد قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد

---

[1] سورة الإسراء آية (٣٢) .
[2] رواه مسلم (٢٠٢).
[3] البخاري (٧٠٤٧) .

الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾[1] .

في الآية نداء واجب للمؤمنين أن يسمعوه ويعوه ويعملوا به من ترك الخمر والميسر والأنصاب والأزلام لأنها من عمل الشيطان وأنه يلقي بغيته في الخمر ليوقع بها العداوة والبغضاء بين المؤمنين والصد عن ذكر الله لأن في صد الشيطان للإنسان عن ذكر الله تجريداً له من حصنه فإذا جرده من حصنه سهل عليه إضلاله وبالأخص عن أعظم شعيرة بعد الشهادتين وهي الصلاة التي هي صلة بين العبد وربه فيريد الشيطان بفعله أن يقطع صلة العبد بربه ليخلو له الجو فيفعل فيه ما يكون سبباً في خراب دينه ودنياه من أمره بالفواحش وتعاطيها فيكفي أخي المسلم في ذلك تحذير من الخمر وعواقبه وقد (نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر)[2] .

وإن في مقدمة هذه المفاسد الأخلاقية السلوكية محاولة تغريب المرأة والسعي الحثيث وراء تبرجها وسلخها من عفتها وإخراجها من بيتها المصون لتخالط الرجال . لذلك فإن المتأمل في حياة المسلمين اليوم يجد أن المرأة المسلمة قد جرت وراء دعاة الضلالة من العلمانيين وغيرهم ممن يدعون إلى التغريب ، والأخذ به . فمن المعلوم أن الله قد كرم المرأة بإنزال تشريعاته العظيمة التي كفلت للمرأة عفتها وأمانتها ووضعتها في المكانة اللائقة بها حيث جعلها أماً ومربية أجيال وجعلها محترمة وأعطاها حقوقها كاملة وجعلها مشاركة للرجل في الأعمال والتكاليف والأجر وكلفها من الأعمال ما يناسب طبيعتها وأنوثتها وأمرها بالقرار في البيت وترك التبرج وأمرها بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله وتلاوة آيات الله والحكمة وهو خطاب للنساء جميعاً بعد نساء رسول الله ﷺ .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا(٣١)يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنْ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا(٣٢)وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ

---

[1] المائدة الآيات (٩٠-٩١) .

[2] أبو داود (٣٦٨٦).

وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا(٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا(٣٤)إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا(٣٥) ﴾[1] .

فرغم هذه التشريعات التي كفلت للمرأة سعادتها وحريتها إلا أنها في مجتمعنا الإسلامي أصبحت تنزلق نحو الغرب وتقلده في دعوى الحرية والاختلاط والتبرج والمساواة والاستقلال إلى غير ذلك من الشعارات الجاهلية المخالفة لنهج الإسلام وتشريعاته العظيمة .

لذلك كان علينا لزاماً أن نستوضح أضرار الاختلاط وما يترتب عليه من مفاسد أخلاقية وسلوكية والتعرف على صوره وأسبابه وتدابير الشريعة الغراء في منعه حتى نحذره .

لا شك أن الاختلاط بين الرجال والنساء يحرك كوامن فطرية لدى الرجل والمرأة على السواء فيشعل نار الشهوة فينتج عن ذلك الغرام والحب والعشق مما يحدو بهما إلى مواقعة الإثم لذلك نجد من أضرار الاختلاط تدمير الأخلاق والعفة والفضيلة وإثارة الغريزة الجنسية وإبداء الزينة والعري والمجون والصور العارية والقصص الغرامية والمسارح والاحتفالات المختلطة والمراقص المصحوبة بالموسيقى والغناء الفاضح وجملة القول أن الاختلاط يجعل الحياة عبثاً وخلاعة ومجوناً مما يؤدي إلى تفكك الأسر وضياع الأولاد والبيت والزوج حيث تصبح المرأة مهتمة برشاقتها وجسمها وجمالها حتى تبدو أمام الآخرين في أجمل شكل وأبهى حُلَّة .

ومن أضراره أنه كان سبباً في تقويض كثير من الحضارات السابقة كالحضارة اليونانية والرومانية (فمن المعلوم تاريخياً أن أكبر أسباب انهيار الحضارة اليونانية تبرج المرأة ومخالطتها للرجال ومبالغتها في الزينة والاختلاط ومثل ذلك حصل تماماً للرومانيين فقد كانت المرأة في أول

---

[1] الأحزاب الآيات (٣١-٣٥) .

حضارتهم مصونة محتشمة فاستطاعوا أن يفتحوا الفتوح ويوطدوا أركان امبراطوريتهم العظيمة فلما تبرجت المرأة فأصبحت ترتاد المنتديات والمجالس العامة وهي في أتم زينة وأبهى حلة فسدت أخلاق الرجال وضعفت مكانتهم الحربية وانهارت حضارتهم انهياراً سريعاً)[1] .

فانظري أختي المسلمة لا تكوني عوناً على إسقاط مجتمعك والقذف به في المهالك بل يجب عليك كما أنك بانية أجيال أن تكوني بانية حضارة .

[1] تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية والاختلاط المستهتر ص (١٦) .

صور من الاختلاط المحرم [1]

لقد تعددت صور الاختلاط في عصرنا هذا وذلك لمجارات كثير من الأسر المسلمة لعادات الغرب وتقاليدهم بسبب الغزو الفكري الذي أخذ يفتك بسمومه في مجتمعنا فمن ذلك استخدام بعض الأسر لرجال داخل البيوت للقيام بشئون البيت مما يكون فيه مخالطة لأهل البيت حيث تأمره وتنهاه ربة البيت وقد تحصل الخلوة وهذا فيه ما فيه مما لا يخفى على ذي لب صادق ونظر ثاقب أنه ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما فالحذر من مزالق الشيطان .

ومنه اعتياد بعض الأسر استقبال المرأة لصديق زوجها في حال غيابه وإدخاله البيت ومجالسته والكلام معه فهذا الاختلاط يؤدي إلى حصول الخلوة المحرمة التي لا تحمد عقباها .

ومن صور الاختلاط المحرم قيام بعض النساء للسفر إلى خارج البلاد بدون محرم مما يكون مظنة أكيدة للاختلاط بالرجال وإلا فكيف ومع من تتعامل في قضاء حاجاتها أثناء سفرها .

ومنه اعتياد بعض النساء الذهاب إلى الطبيب بدون محرم حيث تتحقق الخلوة المحرمة وما أدراك ما يحصل في هذه الخلوة بحكم وظيفة الطبيب من كشف للعورات وتبادل الكلمات فليحذر نساء المؤمنين من هذا فكم جرت على نساء كثيرات من مصائب كانت عواقبها جد وخيمة . ومن صورة الخلوة مع السائقين فقد اعتاد كثير من أولياء الأمور ترك ابنته وزوجته تتجول مع السائق بدون محرم وما أدراك ما يحصل في هذه الجولات من تبادل الكلمات فالله حسيبهم . ومنه الجلسات العائلية المختلطة التي لا يكون فيها أدنى تحفظ من أدب فتأتي المرأة وقد لبست أحلى حللها وأجمل لباسها ففي هذا الاختلاط المريب تدور الأعين الجائعة وتخرج من الأفواه الضامئة الكلمات الفاضحة الهابطة والضحكات المحركة للغرام ويكون المزاح المشبوه والتعريضات المريضة وهذا لا

[1] انظر تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية والاختلاط المستهتر .

شك فيه عند أولي النهى أنه من المحرمات البينة في شريعة رب البرية . فكم تقوضت أسر وتفككت عائلات بسببه وكم نكت في القلوب من الشكوك من فعله مما حول الحياة الأسرية إلى قلق دائم .

ومن صوره ما يكون في المدارس ودور التعليم وفي الدروس الخصوصية وفي الوظائف الحكومية والمستشفيات وغيرها فهذا لا شك أنه محرم بل مع حرمته فيه إهدار لطاقة المرأة وإهدار لكرامتها وإبعاد لها عن فطرتها وتعطيل لأنوثتها .

فيا أخي المسلم هذه أنواع من الاختلاط المحرم أضعها بين يديك حتى تكون على بصيرة بضررها ومفاسدها ولتحذره ؛ فيا أخي إنك بتركك لابنتك وزوجتك وأختك ولمن تعول يختلطون بمن يشاءون وبمن يرغبون فأنت تساهم في تحقيق مخططات العدو سواء من بني جلدتنا ممن يتكلمون بألسنتنا ممن يزينون الاختلاط ويدعون له أم من أعداء الإسلام الحاقدين عليه وعلى أهله فلا تكن عوناً لهم وللشيطان في تحقيق مرادهم فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين .

واسمع للحق تبارك وتعالى يناديك : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(٢٤)وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(٢٥) ﴾[1] .

[1] الأنفال الآيات (٢٤-٢٥) .

الأسباب التي أدت إلى الاختلاط[1]

لا شك أن البعد عن الوحيين كتاباً وسنة من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى الاختلاط حيث نجد أن لهما تأثيراً في فكر الإنسان وقلبه وشعوره وسلوكه فهو حينما يمارس واقعه يمارسه بما استقاه منها فتصبح عاداته وتقاليده وأخذه وعطاؤه وتصوره للأشياء وموازينه التي يوزن بها الأمور كلها نابعة من الكتاب والسنة وعلى العكس حينما يبتعد عنهما فإنه يستقي من مصدر آخر فيكون له تأثير على فكره وسلوكه وشعوره فتصبح ممارساته الواقعية صورة من هذا المصدر المخالف للكتاب والسنة . فعاداته وتقاليده وأخذه وعطاؤه وتصوره وموازينه كلها تصبح وفق ما استقى منه وهذا يفسر لنا كثيراً من الانحرافات التي يمارسها المرء في حياته وهي تخالف دينه وإسلامه ومنها الاختلاط ومن الأسباب اتباع الهوى ومتابعة الغرب في عاداتهم وتقاليدهم المنحرفة ومن الأسباب التي رسخت هذه العادات الغريبة في مجتمع المسلمين الإعلام وما يبثه عبر وسائله المتعددة المرئية والمسموعة والمقروءة فالمسلسلات تكون فيها المرأة مخالطة للرجال فنراها شبه عارية تحادث الرجال وتضاحكهم فلا يشك عاقل أن لهذه المناظر تأثيراً على سلوكيات وأخلاق أبناء المسلمين فقد ظهرت على شكل ممارسات واقعية موافقة تماماً لما يتعلمونه ويرونه من هذه الوسائل التي من المفترض أن تكون أداة بناء بدل أن تكون أداة هدم وتدمير . ومن الأسباب أيضاً ما يقوم به المجرمون من بث الفساد بين المؤمنين في أشكاله المتعددة القصة الماجنة والصورة الفاضحة والمقالة الغزلية الفاسدة وغيرها من ألوان التفنن الإجرامي الهادف إلى تحطيم الأسرة المسلمة حتى يخلو الأمر لذئاب الطريق فتنقض على باقي شرائع الدين لتحطيمها فعلى المسلمين أن يحذروا هذه الأساليب الماكرة ويقاطعوا تلك الأسباب التي تجرهم إلى إفساد أسرهم وأبنائهم ودينهم ودنياهم هذا وبعد أن عرفنا أضرار الاختلاط وآثاره المدمرة للفرد والمجتمع وللحضارة والدول وعرفنا أيضاً أسبابه بعد ذلك علينا أن نعرف تدابير الشريعة في منع الاختلاط وهو بمثابة العلاج الحقيقي لهذا

---

[1] انظر كتاب المرأة المتبرجة وأثرها السيئ في الأمة من ٣٤-١١٤ .

المرض الأخلاقي الذي أصبح يسري في أسرنا فمن أخذ به فقد أخذ بالحق فبان له النور ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

لقد سلك الإسلام لمنع الاختلاط طرقاً شتى فشرع التدابير الواقية من الوقوع فيه فكان بحق منهجاً سديداً وطريقاً قويماً كيف لا يكون كذلك وهو شرع الخالق العليم بنفس الإنسان والعارف ما يصلح لها وما يضرها . فمن تلك التدابير :

أولاً : الحجاب وهو من أهم التدابير التي اتخذها لمنع الاختلاط حيث يربي المرأة على العفة والحشمة وذلك بتعويدها على الستر حيث جعلها تلتزم الحجاب عبادة لا عادةً ولا تقليداً بل لله. قال تعالى : ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾[1] . فبعد نزول هذه الآية راج لبس الخمار في النساء المؤمنات وما كان الغرض منه أن يجعل كحلقة في العنق بل كان المقصود منه أن يلبس ويغطي به الرأس والنحر والصدر تقول عائشة رضي الله عنها مثنية على نساء المؤمنات امتثالهن لهذه الآية الكريمة : " وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً لكتاب الله ولا إيماناً بالتنزيل لقد نزلت سورة النور ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهن فيها ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته فما منهن إلا قامت إلى مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله في كتابه فأصبحن وراء رسول الله ﷺ في صلاة الفجر معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان[2] .

فقول عائشة رضي الله عنها تصديقاً يدل على أن فعلهم للحجاب كان تصديقاً لله وتصديقاً بما أنزل . ومما يجب التنبيه عليه هنا أن الحجاب الشرعي هو تغطية المرأة لجسمها كاملاً فلا تبدي منه شيء وأن يكون الحجاب غير شفاف ولا ضيق ولا واصفاً للجسم .

ثانياً : تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية والدخول عليها ولو كان أقرب قريب . " إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أفرأيت الحمو قال: الحمو الموت "[3] .

---

[1] سورة الأحزاب آية (٣١) .

[2] تفسير سورة النور . أبو الأعلى المودودي ص ١٥٩ .

[3] البخاري (٥٢٣٢) .

فتعبير الرسول عليه الصلاة والسلام للحمو بالموت يدل على خطورة التساهل في هذا الأمر حيث فيه الهلاك المماثل للموت . وقال عليه الصلاة والسلام : " لاتلجوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم "[1] . وعن ابن عباس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : " لا يدخل رجل على امرأة ولا تسافر إلا ومعها ذي محرم وفي رواية : " لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم "[2] . فتحذير الرسول ﷺ هو لمنع الخلوة والاختلاط المحرم المفضي إلى عواقب وخيمة معلومة لأولي الألباب .

ثالثاً / تحريم سفر المرأة بدون محرم .

لا شك أن سفر المرأة بمفردها مظنة أن تختلط بغيرها حيث يضطرها السفر إلى المخالطة مما يكون مدعاة إلى الفساد والعبث بها لذلك نهى الإسلام عن مثل هذا الفعل لسد باب الاختلاط المفضي إلى الحرام قال عليه الصلاة والسلام : " لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا ومعها أبوها أو ابنها أو زوجها أو أخوها أو ذو محرم منها "[3] .

رابعاً : النهي عن استعمال العطور عند الخروج . وذلك لما فيه من إثارة كوامن لدى الرجل بسبب التعطر فتتحرك هذه الكوامن فتترجم إلى رغبة في المخالطة والخلوة المحرمة . قال عليه الصلاة والسلام : " كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية "[4] .

وعن زينب الثقفية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : " إذا خرجت إحداكن إلى المسجد فلا تمسَّ طيباً "[5] . وقال عليه الصلاة والسلام : " أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهدن معنا العشاء الآخرة "[6] .

---

[1] الترمذي (١١٧٢).

[2] البخاري ١٨٢/٢ .

[3] مسلم (٤٢٣)

[4] الترمذي (٢٧٨٦) .

[5] مسلم (٤٤٣) ،كنز العمال (٤٥١٧٧)، أحمد (٢٧٠٩٢).

[6] مسلم (٤٤٤) ،وأبو داود (٤١٧٥).

في الأحاديث المتقدمة تحذير يقتضي التحريم من استعمال العطور والبخور حال خروج المرأة حتى لا يحصل الالتفات للمرأة المحرك للشهوات المفضي إلى الخلوات .

خامساً : تحريم مصافحة المرأة الأجنبية لما فيه من إثارة الشهوة والاختلاط المحرم .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت في حديث المبايعة والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة إلا بقوله : " قد بايعتكن على ذلك "[1] .

وعنها قالت : " ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة ملكها "[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام:" إني لا أصافح النساء"[3].

فهذا هديه عليه الصلاة والسلام سد لباب الاختلاط فالمصافحة باب يلج منه إلى الخلوة والاختلاط المحرمين .

سادساً : الأمر بغض البصر لأن في إطلاقه ما يحرك كوامن الشهوة كما قال ابن القيم رحمه الله"نظرة ثم خطرة ثم خطوة ثم خطيئة" فالنظر المحرم يجر إلى الاختلاط وذلك لأن الناظر يطبع النظر في فكره وقلبه صورة لذلك المنظور لا سيما إذا تكرر النظر فإنه يتشبع به فيكون نتيجته أن يتخيله فيحدث له تأمل فيه مما يدعو إلى التحرك نحوه فيحصل ما لا تحمد عقباه . ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ﴾[4] .

وفي الحديث الشريف عن جرير بن عبدالله رضي الله عنهما قال سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة فقال " اصرف بصرك " وفي رواية " أطرق بصرك " وفي رواية أخرى " فأمرني أن أصرف بصري "[5] .

---

[1] ابن ماجه (٢٨٧٥).

[2] البخاري٢٥٦٤، الترمذى ٣٣٠٦، أحمد ٢٥٢٤٥.

[3] ابن ماجه (٢٨٧٤) .

[4] النور الآيات (٣٠-٣١) .

[5] أحمد(١٩٢٢٠) ، الترمذي (٢٧٧٦) ، أبو داود (٢١٤٨) .

وقوله لعلي ﷺ : " يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الأخرى "[1] .

سابعاً : تعويد المرأة على الحجاب والحشمة والستر حتى وهي في بيتها وفي صلاتها حيث لا تقبل لها صلاة وهي غير محتجبة وحكمة ذلك أن تتعود فإذا ما خرجت إلى بعض شأنها كانت قد ربت على الحشمة والحجاب والستر فتكون بذلك قد بعدت عن الفتنة والاختلاط .

قال ﷺ : " لا تقبل صلاة الحائض إلا بخمار "[2] .

ثامناً : النهي أن تصف المرأة المرأة لزوجها وغيره كأنه ينظر إليها ففي ذلك من الفساد ما فيه من تهيج الشهوة والرغبة إلى التطلع إلى الموصوفة فيكون حافزاً إلى تتبع طرق الخلوة بها والاختلاط المحرم .

قال ﷺ : " لا تباشر المرأة المرأة حتى تصفها لزوجها كأنه ينظر إليها "[3] . ومما يتصل بهذا أيضاً نهي المرأة أن تخلع ملابسها في الحمام لما فيه من التكشف وإبراز الجسم أمام النساء الأخريات مما يكون مظنة أن يصفن أجسادهن لأزواجهن وفيه أيضاً مظنة الاختلاط المحرم .

فعن أبي المليح قال دخل نسوة من أهل الشام على عائشة رضي الله عنها فقالت ممن أنتن قلن من أهل الشام قالت لعلكن من الكورة التي تدخل نساؤها الحمام قلن نعم قالت : أما أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها إلا هتكت ما بينها وبين الله تعالى " وفي رواية : " إلا هتكت الستر بينها وبين الله تعالى "[4] .

تاسعاً : من التدابير الواقية من الاختلاط :

---

[1] الترمذي (٢٧٠١) ، أبو داود (١٨٣٧).

[2] الترمذي (٣٧٧).

[3] الترمذي (٢٧٩٢)، ابن حبان (٤١٦٠)

[4] ابن ماجة (٣٧٥٠) ، أبو داود (٤٠١٠).

المرأة مأمورة أن تعبد الله كما يتعبده الرجل من صلاة وغيرها وحفاظاً على المرأة وسداً لباب الاختلاط المحرم أخر الله صفوف النساء في الصلاة عن صفوف الرجال وجعل أفضلها آخرها وما ذاك إلا لمنع وإبعاد النساء أن يختلطن بالرجال وإبعادهن عن التعلق القلبي الناتج عن الرؤية والحركة والكلام .

قال ﷺ : " خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها "[١] .

وأيضاً شرع الإسلام للمرأة أن تخرج من المسجد قبل الرجال حتى لا يحصل الاختلاط .

عن أم سلمة رضي الله عنها أن النساء في عهد رسول الله ﷺ كن إذا سلمن من المكتوبة قمن وثبت رسول الله ﷺ ومن صلى من الرجال ما شاء الله فإذا قام رسول الله ﷺ قام الرجال "[٢] .

وفي رواية ، قالت : "كان رسول الله ﷺ إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمه ويمكث هو في مقامه يسيراً قبل أن يقوم " قال نرى والله أعلم أن ذلك كان لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن أحد من الرجال "[٣] .

عاشراً : ما شرعه الإسلام من منع النساء من اتباع الجنائز ونهيه عن زيارة القبور لما في ذلك من مخالطة الرجال المؤدي إلى الفتنة ، فعن أم عطية رضي الله عنها قالت : " نهينا أن نتبع الجنائز ولم يعزم علينا "[٤] .

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ : " لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور "[٥] .

---

[١] أحمد ٢/٢٤٧ ومسلم (١٣٢).

[٢] البخاري (٢٨٢٨)، ابن حبان (٢٢٤٣)

[٣] البخاري (٨٧٠).

[٤] رواه البخاري (١٢٧٨) ، أبو داود (٣١٦٧) .

[٥] والترمذي (١٠٥٦) وابن ماجة (١٥٧٥) .

الحادي عشر : من التدابير الواقية من الاختلاط ترخيص الشرع للمرأة عدم حضور الجمعة والجهاد وشرع لها المكوث في البيت وترك التكسب وجعل ذلك للرجل كل ذلك صيانة لها من الاختلاط والتعرض للفتنة .

قال ﷺ : " الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة عبداً مملوكاً أو امرأة أو صبياً أو مريضاً "[١] .

وقال ﷺ لما سألته عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل فقال لكن أفضل الجهاد حج مبرور وفي رواية ألا نغزو ونجاهد معكم فقال لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج حج مبرور وفي رواية قالت يا رسول الله هل على النساء جهاد قال نعم عليهن جهاد لا قتال فيه : الحج والعمرة[٢] . وفي رواية استأذنت النبي ﷺ في الجهاد فقال : " جهادكن الحج والعمرة "[٣] . وفي رواية " عليكن بالبيت فإنه جهادكنّ"[٤].

في الحديث بيان لجهاد المرأة وهو الحج والعمرة وهو أليق بهن وأفضل لهن ولما كان الجهاد فيه الاختلاط والتكشف وعدم استطاعة التحرز منه وبما أن المرأة مأمورة بالحشمة والستر والحجاب والعفاف صرف عنها هذا الجهاد إلى جهاد آخر يكون أقرب لطبيعتها وأنوثتها وأكرم لحشمتها .

الثالث عشر : حث المرأة على الصلاة في بيتها وترغيبها في ذلك وما ذاك إلا لخوف الفتنة من الخروج المفضي إلى المخالطة .

قال ﷺ : " صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها "[٥] . وعن أم سلمة : " وصلاتها في حجرها خير من صلاتها في دارها

---

[١] أبو داود (١٠٦٧).
[٢] أحمد ١٦٥/٦ .
[٣] البخاري ٤١٦/٦ .
[٤] أحمد (٢٤٤٣٨) .
[٥] أبو داود (٧٥٠) .

وصلاتها في دارها خير من صلاتها في مسجد قومها "[1] . وقال عليه الصلاة والسلام : " خير مساجد النساء قعر بيوتهن "[2] .

فانظر أخي المسلم وأختي المسلمة إلى عظمة هذا التشريع في صيانة المرأة وحفظها من التعرض للفتنة والاختلاط وأيضاً حفظ المجتمع من شر الاختلاط والتلظي بناره فلنتق الله ولنأخذ أنفسنا إليه ونعمل بشرعه تقرباً إليه وذلك بأخذ ما جاء به رسوله بقوة وعزيمة وأن نمارس ذلك واقعاً فعلياً فإن فعلنا فقد أخرجنا أنفسنا من الظلمة إلى النور ومن الجهل إلى العلم فبهذا نكون قد ساهمنا في البناء .

ومما يتصل بهذه القضية وهي قضية الأخلاق والسلوك . ما نراه من التحلل الخلقي لدى كثير من الشباب والشابات فمن مظاهر ذلك التحلل الخطير وجود عادات وتقاليد لا تتصل بالدين في شيء بل هي من عادات الغرب من قصات فاضحة وألبسة ضيقة وتطويل الأظفار وتكسر في المشي والكلام وضعف في الاهتمام والإعجاب بالنفس والتعلي على الأقران إلى غير ذلك من أنواع التحلل فقد قال عليه الصلاة والسلام : " من تشبه بقوم فهو منهم "[3] . لأن التشبه في الظاهر يورث التشبه في الباطن لأنه علامة ودليل عليه والإناء بما فيه ينضح .

على هذا ينبغي للشباب أن يعتزوا بإسلامهم ويفتخروا بعاداته وتقاليده وأن لا ينساقوا وراء كل ناعق ممن يحبون الغرب ويطربون له . بل عليهم أن يجعلوا رسولهم قدوة قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾[4] .

---

[1] مجمع الزوائد ٢/٣٤ .

[2] أحمد (٢٦٥٨٤).

[3] رواه أبو داود ٤/٤٤ ح ٤٠٣١ .

[4] سورة الأحزاب آية (٢١) .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من المعلوم أن هذه الشعيرة العظيمة يكون بها قوام المجتمع وسعادته فلا قيام لمجتمع ليس فيه أمر بمعروف ولا نهي عن منكر بل تكثر فيه المعاصي وتتراكم فيه الآثام وتضيع فيه الحقوق مما يشعرك أن هذه الشعيرة كالسور المنيع الذي يحمي المجتمع من التفلت والضياع والانغماس في اللذات والجري وراء الشهوات المبعدة للإنسان عن الله تعالى وقد جعل الله خيرية هذه الأمة في أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر والإيمان بالله ، قال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾[1] .

وقوله تعالى لرسوله الكريم ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾[2] .

ولكن مع الأسف بعد الناس عن العمل بهذه الآيات حتى أصبح هذا الأمر عند كثير من المسلمين من التدخل في شئون الغير فعدوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تدخل في قضايا الناس الشخصية متناسين أن الذي أمرهم بهذا هو الله سبحانه وتعالى . بهذا المفهوم المنحرف عطلت هذه الشعيرة مما سبب كثيراً من المعاصي والآثام التي سوف يشقى بها المجتمع ويجني ثمارها اللاحقون. فعلى المسلمين أن يعودوا إلى شريعة ربهم ويأخذوا بها قال تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾[4] .

---

[1] آل عمران الآية (١١٠) .
[2] الأعراف آية (١٩٩) .
[3] آل عمران (١٠٤٠) .
[4] التوبة آية (٧١) .

وقال تعالى : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾[1] .
وقال ﷺ : " لما وقعت بنوا إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ وكان الرسول ﷺ متكئاً فجلس فقال لا والذي نفسي بيده حتى تأطرهم على الحق أطراً "[2] .

وعن عدي بن عميرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا عذب الله العامة والخاصة "[3] . في الآيات والأحاديث المتقدمة دعوة وتحذير من التفريط في هذه الشعيرة العظيمة فهي تبين :

أولاً : أن يكون في الأمة من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فإن الفلاح مترتب ومحقق بفعله وهذا يكون لنا حافزاً وعاملاً قوياً على إقامة هذه الشعيرة وتحقيق ذلك واقعاً ملموساً حتى نحمي أنفسنا وأبناءنا وأسرنا ومجتمعنا من غوائل المعاصي والآثام والفتن .

ثانياً : أن المؤمنين يوالي بعضهم البعض مع الحب والتناصح فيما بينهم والتآمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يكون محركاً لقلوبنا وجوارحنا إلى تحقيق هذه الشعيرة العظيمة .

ثالثاً : اللعن لبني إسرائيل بسبب المعصية والعدوان وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فبئس ذلك الفعل منهم مما يشعرنا ويدلنا على أن نجانب فعلهم حتى لا نقع في ما وقعوا فيه من اللعن ،ولا يكون ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

[1] المائدة الآيات (٧٨-٧٩) .
[2] أحمد (٣٧١٣)، الترمذي (٣٠٤٧) .
[3] أحمد (١٧٧٥٧).

رابعاً : على من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يكون صاحب فقه فيما يأمر به وينهى عنه ؛ فإذا أمر ونهى ولم يستجب له عليه أن يقاطع أصحاب المعاصي فلا يجالسهم حتى يعودوا إلى أمر الله .

خامساً : أن العقوبة المترتبة على ترك هذه الشعيرة العظيمة هي حصول الفتنة بين أفراد المجتمع ويلحقهم اللعن الذي جاء على ألسنة الأنبياء مما يكون حافزاً على التوقي من فعلهم .

سادساً : أن العقوبة تأتي على العامة والخاصة حين يترك المنكر فلا ينكر مع القدرة على إنكاره ففي هذا دلالة على وجوب القيام بهذه الشعيرة العظيمة ، وأن مما يعين على إقامة هذه الشعيرة هو تفهم أن بها يحصل الحفظ للمجتمع من أن يتصدع ومن أن يتسرب إليه المنكرات التي تنخره فيبقى فارغاً فسرعان ما ينقض . وأخيراً لا بد لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يتحلى بالصبر لمن يأمره وأن يكون برفق حتى يحقق مقصوده وحتى تؤدي هذه الشعيرة دورها في حفظ بناء المجتمع من التصدع والانهيار .

العبادة

لقد ضمر هذا المفهوم لدى فريق من الناس فأصبحت العبادة عندهم مجرد أداء للشعائر التعبدية فقط وأن من قام بها وحدها فهو العابد القانت .

ومن الناس فريق آخر يعبدون الله غير ناظرين بما شرعه بل يعبدونه سبحانه بالبدعة والغلو والتشدد ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً . أما والأمر كذلك فيقال للفريق الأول إن هذا المفهوم لديكم خطأ وغلط فإنه لا يشك ناظر في نصوص الشريعة ولا يتلعثم أن العبادة تشمل كل حياة الإنسان قال تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾[1] .

(إنه التجرد الكامل لله بكل خالجة في القلب وبكل حركة في الحياة بالصلاة والاعتكاف وبالمحيا والممات بالشعائر التعبدية وبالحياة الواقعية وبالممات وما وراءه أنها تسبيحة التوحيد المطلق والعبودية الكاملة تجمع الصلاة والاعتكاف والمحيا والممات وتخلصها لله وحده . لله ﴿ رب العالمين ﴾ القوام المهيمن المتصرف المربي الموجه الحاكم للعالمين في إسلام كامل لا يستبقي في النفس ولا في الحياة بقية لا يعبدها لله ولا يحتجز دونه شيئاً في الضمير ولا في الواقع ﴿ وبذلك أمرت ﴾ فسمعت وأطعت ﴿ وأنا أول المسلمين ﴾)[2] .

فالآية تدل على أن العبادة ليست مجرد أداء للشعائر فحسب بل تتعدى إلى كل حياتك وتتعدى إلى جوارحك وأحاسيسك وأخلاقك واقتصادك وسلوكك بحسن النية لله تعالى (أن عبودية الله تقتضي إشغال جميع الجوارح والأحاسيس في طاعة الله وامتثال أمره ينحصر الاتجاه إليه سبحانه وتعالى في كل ما ركبه في جسم الإنسان كما تقتضي كفها وصيانتها عن الانشغال بما لا يرضي الله من كل محرم ومكروه وعن الانهماك في المباحات المشغلة عن الواجب والمندوب خوفاً من تراكم

---

[1] الأنعام (١٦٢) .

[2] الظلال ج٣ ص ١٢٤٠ .

الغفلة المفضية إلى سخط الله وإنما يأخذ الإنسان منها بقدر الحاجة مع شديد الحذر وحسن النية ليكتبها الله له عبادة بصلاح نيته والله غفور شكور)[1] .

ويقال للفريق الثاني أن هذا المفهوم لديكم خطأ فإن الشرع جاء على خلاف المفهوم المتشدد الغالي إلى التيسير قال تعالى : ﴿ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام : ﴿ يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين ﴾[3] .

وقال ﷺ : " هلك المتنطعون "[4] .

وأيضاً يجب أن تعلموا أن العبادة التي شرعها الله سبحانه وتعالى توقيفية لا يثبت منها شيء إلا بدليل من الكتاب والسنة ولا بد فيها من المتابعة والإخلاص لله سبحانه .

(والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد ولها أصلان أحدهما أن لا يعبد إلا الله والثاني أن يعبده بما أمر وشرع لا بغير ذلك من الأهواء والبدع قال تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[6] .

وقال تعالى : ﴿ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾[7] .

---

[1] تربية الإسلام ودعاة التحرر ص ١٧٧ .
[2] (النساء: من الآية (١٧١) .
[3] ابن ماجة (٣٠٢٩) أحمد (٣٢٤٨).
[4] مسلم (٢٦٧٠) أحمد (٢٣٦٥٥)، أبو داود (٤٦٠٨)
[5] سورة الكهف آية (١١٠) .
[6] البقرة (١١٢) .
[7] سورة النساء آية (١٢٥) .

فالعمل الصالح هو الإحسان وهو فعل الحسنات والحسنات هي ما أحبه الله ورسوله ﷺ وهو ما أمر به من إيجاب واستحباب فما كان من البدع التي في الدين ليست مشروعة فإن الله لا يحبها ولا رسوله فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح كما أن ما يعلم أنه فجور كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح وأما قوله : ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ . وقوله : ﴿ أسلم وجهه لله ﴾ فهو إخلاص الدين لله وحده .

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول(اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً) وقال الفضيل بن عياض في قوله : ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ قال أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ . قال : العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة)[1] .

هكذا كان فهم الصحابة والسلف الصالح للعبادة إخلاص ومتابعة جد واجتهاد ورغبة وتطلع لما عند الله فلا إفراط ولا تفريط ولا تشدد ولا غلو ولا بدعة فهل نعي ما وعى أولئك القوم فنمضي على منوالهم حتى نكون عند الله من المقربين .

ورغم ذلك الفهم السقيم للعبادة نجد كثيراً من المسلمين تهاونوا وقصروا في أداء تلك العبادة فقد كثر من يترك الصلاة ويتهاون في أدائها في المسجد مع الجماعة وآخر مضيع لها بالكلية وخاصة من الشباب فكم من شاب على الرصيف والمؤذن ينادي حي على الصلاة حي الفلاح ولكن هذا النداء لا يحرك ذلك القلب اللاهي المنصرف عن الله . وإن حصلت الاستجابة لذلك النداء كانت الصلاة منهم في آخر الصفوف فهم آخر من يدخل وأول من يخرج .

وأيضاً الصيام فقد أصبح في حس كثير من المسلمين أنه مجرد الامتناع عن الطعام والشراب متناسين أن مفهوم الصيام هو أن يحصل بفعله التقوى ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب

---

[1] العبودية ص ١٧-١٨ .

عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾[1] . وأن تتعود النفس على طاعة الله وامتثال أمره والبعد عن معصيته سبحانه .

وأيضاً الحج فقد ترك أكثر المسلمين الحج مع المقدرة عليه . وقس على ذلك باقي العبادات ، تهاون المسلمون في عبادة الله مما سبب لهم الذل والهوان فليس الخروج من ذلك إلا بالرجوع الصادق إلى أخذ ما جاء في كتابه وسنة رسوله بقوة بلا تقاعس ولا توان وأن يكون هذا الأخذ على منوال فهم سلفنا الصالح في كيفية أداء العبادات فإنه لا يسعنا إلا ما وسعهم حيث نجد أنه لم يكن في حسهم أن هذه العبادات مجرد شعائر منفصلة عن واقعهم بل كان في حسهم أنها تشمل كل نواحي الحياة وواقعهم أكبر شاهد على ذلك وتجدهم أيضاً لم يكونوا يبتدعون في تلك العبادات من هوى أنفسهم بل كانوا يعملون على وفق منهاج الله ورسوله ﷺ فلذلك سادوا العالم .

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

[1] سورة البقرة آية (١٨٣) .